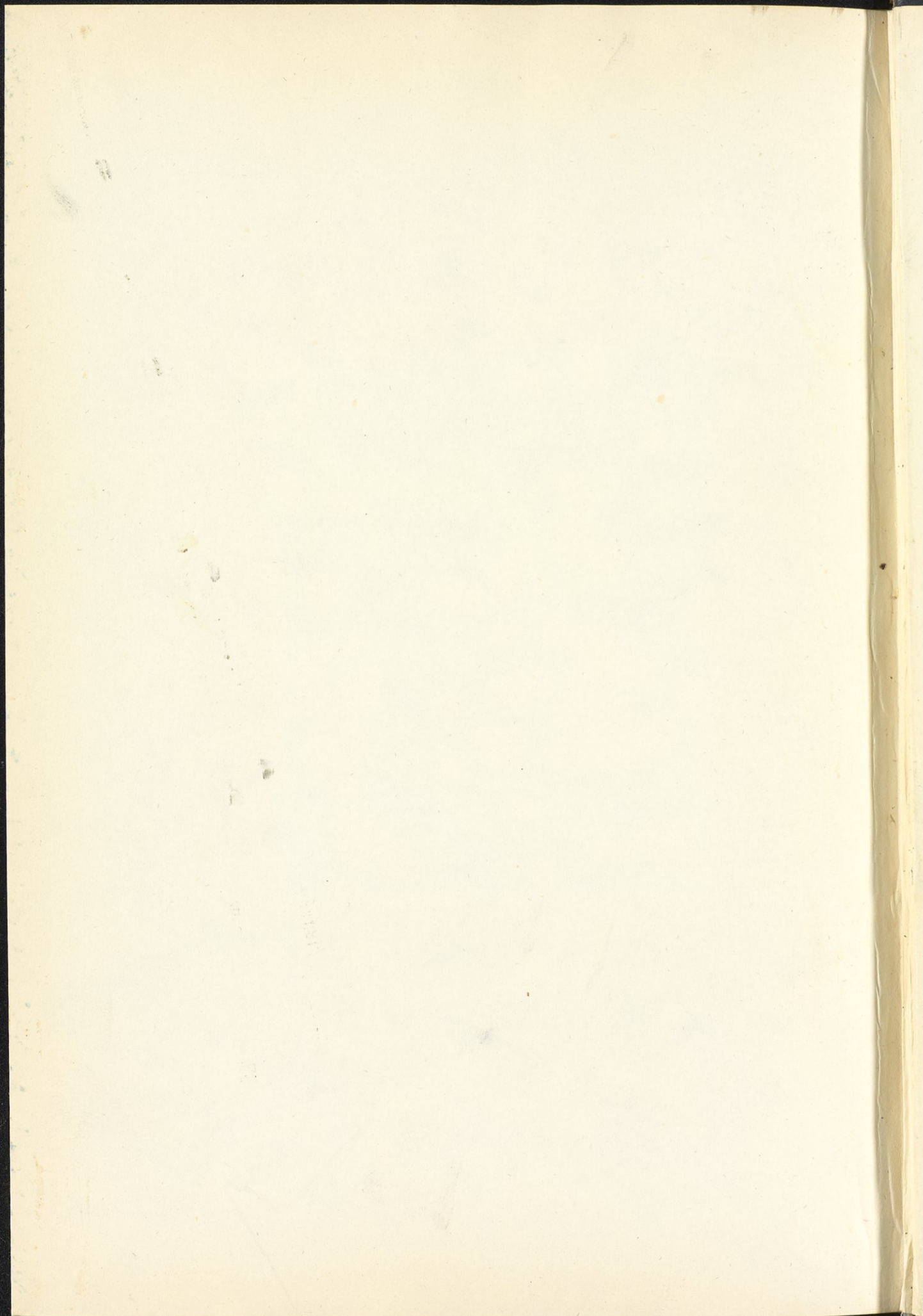


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY



UAR. 6618. Jamāl al-Dīn,

بمناسبة احتفال بغداد - الكندي

ادب

بغداد

في اثناء السنة

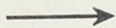
الدكتور محمد جمال الدين

استاذ الادب الاندلسي

كلية الاداب - جامعة بغداد

مشورات - مكتبة النهضة - بغداد

L. C. CARD
NUMBER



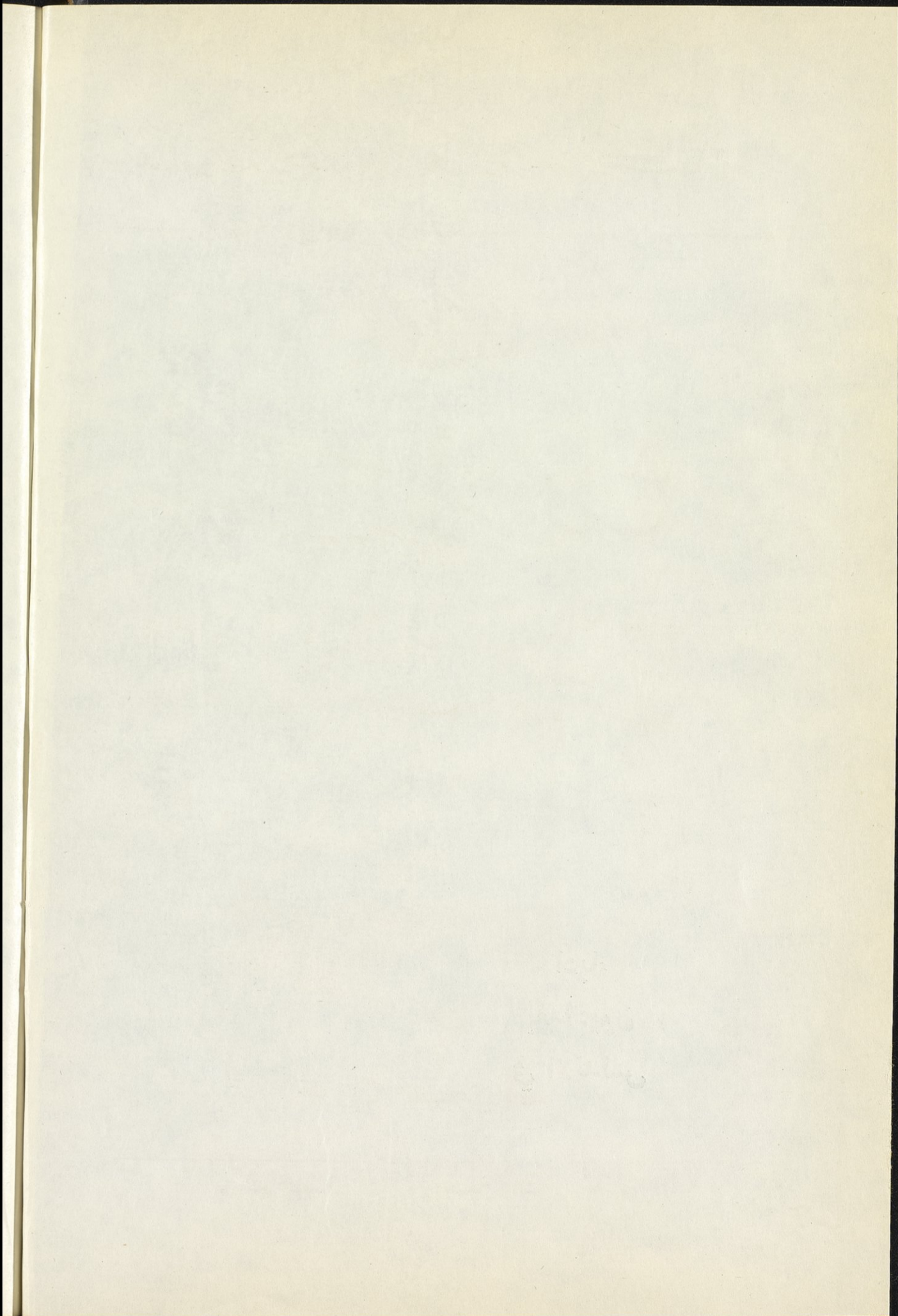
Jamal a l-Din, Muhsin.
Udaba' Baghdadiyun fi al-Andalus.
Baghdad, Maktabat al-Nahdah, 1962-63.
51 p.

Out
C
R
On
Ci
Rd
P
D
Np
NR

UAR-6618

Disposition	GL	Source	PL 480	Date 5/8/67
GC	LC42 42-7	48-52	53-7	PS
2	Columbia U.	PHO	a, c, d	-R, Ci

ادباء
بغداديون
في الاندلس



بمناسبة احتفال بغداد - الكندي

ادبنا

بغداد

في الانس

الدكتور محمد جمال الدين

استاذ الادب الاندلسي

كلية الادب - جامعة بغداد

نشر - مكتبة النهضة - بغداد

دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر - بغداد

P J
753 0
.J 3

حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمؤلف والناشر

الطبعة الاولى

١٩٦٣ - ١٩٦٢

١٠١٠٨

١٧٥

الأهداء

الى مدينة بغداد

في ماضيها الخالد - وحاضرها الزاهر
ومستقبلها الباسم .

والى أرواح العلماء العراقيين

الذين توسدوا ترربة الاندلس - فعاشوا
هناك بأجسامهم وظلوا معنا بأرواحهم .

أهدي هذه الدراسة المتواضعة

محسن

تشرين أول ١٩٦٢
بغداد

Beate

عالمی تقریباً

یہاں سے لے کر پورے عالم میں لے کر
پہلے پہلے اور پھر

دیکھنا اور جاننا

اور پھر اس کے ساتھ ساتھ
پہلے پہلے اور پھر

دیکھنا اور جاننا

پہلے

پہلے پہلے

تصدير

من عظمة (بغداد) وخلودها ، أن لها في التاريخ مكانة ، ولها في
القلوب محبة ، وفي الاحلام صورة •

فهي موطن العلماء ، ومنبت الفقهاء ، وندوة الادباء ، يعشقها من عاش
فيها ، ويحن اليها من بعد عنها • حتى ولو كان قاليا لها ، أو ناقما عليها (١) •

آها على (بغدادها) وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه تبدو أهلتها على أطواقها
متبخرات في النعيم كأنما خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسى الفداء لها فأى محاسن في الدهر تشرق من سنى اشراقها (٢)

في قصورها وسوارعها ، وفي بيوتها ومناهجها ، تمثلت روايات
« ألف ليلة وليلة » السحرية • فهي مدينة قد ضمنت المتناقضات ، وحوث
المفارقات ، كان فيها غنى مترف ، وفقير مؤلم •

(١) في تاريخ الخطيب البغدادي • وفي طبقات الشافعية والاغاني
وغيرها من المصادر القديمة الوفرة من جلة العلماء ، والادباء - والفقهاء -
والشعراء ، الذين أنبتتهم بغداد ، أو ضمتهم الى حضيرتها •
(٢) الابيات (لقمر) جارية ابن الحجاج التي جلبت له من بغداد /
القرن الثالث الهجري تراجع في أعلام النساء ط ١ / ١٩٤٠ دمشق ج ٣ عمر
رضا كحاله ص ١٢٩٨ •

مر عليها علم نير ، وجهل مظلم ، مرت عليها أطياف السعادة ، واشباح
الشفاء ، ولقد ظلت دوما (دار السلام) الحبيبة !!

أنبتت تربتها أزاهير العبقرية ، واحتضنت معاهدها نوابغ الاساتذة
والطلاب ، بقيت وهي شامخة البناء ، عالية المجد ، تشع منائرهما ومعابدها العلم
والمعرفة • وطبيعي ان يكون لها الاحترام ، وتظل لها المكانة •

هذا وفي دراستنا للعلاقات الثقافية بين (بغداد) و (الاندلس) •
وجدنا ان بين البلدين صلات ثقافية واقتصادية ، استمرت عدة قرون • حتى
ولو شابها أحيانا جو سياسي مدلهم • ولكن صلات العلم والثقافة ، وروابط
الاسلام والعروبة ، لم تنفصل حلقاتها ، ولم تضعف مودتها •

فالعلامة (الحميدي) و (الفرضي) و (ابن سعيد المغربي) و (ابن
جبير الكناني) ، وغيرهم ، رأوا هذه البلاد فوصفوها ، وسجلوا خواطرهم
وانطباعاتهم عنها • وتلقى بعضهم العلم على يد اساتذتها ومعاهدها • أمثال
(شرف الدين المرسي) ٥٧٠هـ - ٦٥٥هـ (وجابر بن محمد الواد آشي)
٦١٠هـ - ٦٩٤هـ (١) •

كما ان الاندلس استقبلت خلال القرنين الثالث والرابع الهجري
- طبقة مرموقة من أبناء العراق - والمتسبين الى مدينة (بغداد) (٢) •
ومن هذا الفيض الزاخر اخترت ثلاثة من اللامعين الذين أثروا في
هجرتهم هناك ، وفي حياتهم في الاندلس على المجتمع الاندلسي • وهم :
١ - (أبو علي القالي البغدادي) - كعالم - ولغوي - واستاذ له منهج علمي
في محاضراته بجامعة (قرطبة) أوجد طبقة عالية من العلماء والادباء
والشعراء في تلك البلاد •

(١) راجع : تاريخ علماء المستنصرية - للاستاذ ناجي معروف
ط ١٩٥٩/١ - ١٣٧٩ بغداد ص ٣٣٠ الملحق السابع •
(٢) لنا دراسة مفصلة (عن العلاقات الثقافية بين الاندلس والبلاد
العربية) وفي المكتبة الاندلسية B. A. H. تراجم العلماء الوافدين على
الاندلس والمغادرين لها •

٢ - (ابن زريق البغدادي) : شاعر تغنى بالكرخ ومطالع الدور فيه ولم ينس بغداد مدبنته في يقظته وحلمه ، وغر بته (٣) .

٣ - (زرياب المغني) تلميذ اسحق الموصلي الذي وضع نظام الموسيقى والغناء للاندلسيين ، مع التقاليد البغدادية .

ان الشخصيات الثلاث الذين جعلناهم مدار حديثنا ، وموضوع دراستنا ، انما هم جزء من تلك الفئات الكثيرة التي دخلت الاندلس ، فاستقرت بها ، أو عادت منها .

وهؤلاء في الحقيقة خلفوا وراءهم دويا ، وتركوا لمجدهم أثرا ، ولحياتهم صورة . لانهم خالدون ، ولانهم ادياء بارزون . والشاعر يقول :-

والعظيم العظيم من مهر التاريخ بالطيبات من أعماله
لا الذي عاش في الضلال وختلى لغات الاجيال خلف ظلاله

x x x

كم وددت أن أتبسط في دراسة هؤلاء الرجال ، وأتوسع في تحليل شخصياتهم ، ونفسياتهم ، وأديبهم ، وأتبع خطاهم منذ مولدهم حتى وفاتهم ، ولكنني خشيت الاطالة على اننا لا نبخل بتطرق آخر ندرسهم فيه دراسة مستفيضة .

لان الموضوع الطريف لا يفقد جدته بانتهاه مناسبه ، فهو كالجمال الاصيل ، وكالمعنى الجميل ، يظل أثره باقيا في النفس في كل وقت ، ولذته مستمرة في الروح في كل حين !!

وبمناسبة (احتفالات بغداد - الكندي) قدمنا هذه الدراسة وهي في الحقيقة جزء مما يجب علينا كمتقنين تجاه بلادنا وأدبنا ورجال الفكر عندنا ، في تاريخنا العربي المجيد ، قديمه وحديثه .

أما حصّة (المرأة البغدادية) فلننا نجد لها مكانة ، ولا نغبط لها حقا ، اذ اننا سنخصها بدراسة مستقلة حينما ودعت وطنها العراق ، ومسكنها

(٣) ستكون لنا دراسة مستقلة عن (ابن زريق البغدادي) .

الزوراء • وعاشت في الاندلس • أدبية ، وشاعرة ، ومطربة •

تلك هي النتيجة لهذه الدراسة • أما المقدمات عن بحثها ، والجهود التي
صرفت عليها ، فتركه للذين يقرأون الحقائق المجردة ، من الاغراض
والغايات في وقتنا الحاضر ، وللإيمان القادمة •

لان الناس كما قالوا : يريدون النتائج ولا يسألون عن المقدمات •

هذا مجهود بسيط ، أرجو قبوله ، قمت به احتراما (لبغداد) وتقديرا

لعظمتها وخلودها •

الدكتور محسن جمال الدين

بغداد - كلية الاداب

التعريف

بأبي علي القالي البغدادي

- ولد عام ٢٨٨ هـ توفي ٣٥٦ هـ
٩٠١ م - ٩٦٧ م
- من أساتذته في النحو والادب :
ابن دريد - والزجاج - ابن الأنباري
- من أساتذته في الحديث :
البغوي - العدوي - المحاملي
- من أشهر تلاميذه :
أبو بكر الزبيدي - الرمادي
- من آثاره :
الامالي - المقصور والممدود - مقاتل الفرسان
- دخوله الاندلس :
في النصف الاول من القرن الرابع الهجري
- عاصر الخليفة العباسي :
المطيع لله
- عاصر الخليفة الاندلسي :
الحكم المستنصر بن الناصر

أبو علي القاسم البغدادي

عالم غزا الاندلس بعلمه

٢٨٨هـ - ٣٥٦هـ

٩٠١م - ٩٦٧م

أطل القرن الرابع الهجري ، وكان الصراع الفكري والسياسي ،
محتدا بين العباسيين وهم في (بغدادهم) السامقة ، وبين الامويين وهم في
(قرطبتهم) الناهضة •

وبدت طلائع هذا التصارع واضحة ، عندما أخذ الخلفاء الامويون
هناك في - الاندلس - يمدون أيديهم الى ثروة الشرق الفكرية ، ويساعدون
على اقتباس جمرات لاهبة من مواقع العراق المشتعلة ، ذكاء ، وفطنة ،
ومعرفة !!

resultant fire
وسبيل حصولهم على تلك الأقباس والجمرات ، يعود الى ما اشتهر عنهم
يومذاك من اغراء مادي ، وكرم وافر ، واحترام غزير • لكل من ناوء
العباسيين أوفر من سلطانهم • أو تنذفت به باخرة الحياة الى شواطئهم ، كي
يوضحوا للناس بأنهم الاهل ، لكل لاجيء ، والسند لكل محتاج ، والمولى
لكل تابع ، والموطن لكل عالم !!

وهذه السياسة المقصودة أرادوا بها أن يحولوا الانظار والافكار عن
منزلة (بغداد) الثقافية والسياسية ويجعلوا لهم ميادين فسيحة ، للمناظرات
والمحاضرات ، والاندية الثقافية ، والمجامع العلمية • التي تحاول الغمز ،

وتتعمد النقد لوضع العراق ، وساسته العباسيين .
وقد ربحت معرفتهم الفكرية لشخصيات متعددة منهم : (زرياب المغني)
و (ابن زريق البغدادي) و (صاعد البغدادي) و (أبو علي القالي) .
ونقف الان عند شخصية هذا المفكر النير ، والعالم المتبحر ، والرجل
المبدع الذي استطاع أن يثبت مكانته ، في هوج الرياح ، وعالم السياسة
الاندلسية المضطربة . وأن يتغلب على خصومه ومناوئيه . وهو لا يزال لم
ينفض عنه غبار الطريق ، واستمرت تلك المنافسة بينه وبين معارضيهِ ، وحتى
أتباعه وتلاميذه في الخفاء . وكادت ترجعه الى (بغداد) لولا ان صمد لها
بغزارة علمه ، وعمق ثقافته وقوة حجته ، وسعة اطلاعه !!

شخصيته العلمية

أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون بن عيسى بن محمد
ابن سليمان القالي البغدادي ولد حسب ما رواه ابن خلكان عام ٢٨٨هـ ،
المصادف ٩٠١م في قرية تسمى (منازلجرد) على الفرات الشرقي بقرب
بحيرة (وان) من ديار بكر ، ثم رحل الى الموصل ومنها الى بغداد عام ٣٠٣هـ
حيث أقام فيها ٢٥ عاما وفي سنة ٣٢٨هـ رحل الى المغرب ودخل قرطبة
سنة ٣٣٠هـ .

وقد سأله تلميذه العالم (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي) النحوي
صاحب (مختصر العين)^(١) عن معنى (القالي) فأجاب تلميذه قائلا : لما
انحدرنا الى بغداد ، كنا في رفقة كان فيها أهل (قالي - قلا) وهي قرية من
قرى منازلجرد ، وكانوا يكرمون لمكاتتهم في الشعر ، فلما دخلت بغداد ،
نسبت اليهم ، لكوني معهم وثبت ذلك علي^(٢) .

(١) عالم اندلسي مشهور ، له مؤلفات قيمة في الدراسات النحوية
منها « طبقات النحويين واللغويين » توفي / ٣٧٩ .

(٢) راجع : بغية الملتبس للضببي B. A. H. n نشر قديره رقم ٥٤٧
ص ٢١٦ - وقال صاحب (الاعلام) ج ١ ط ٢ ص ٣١٩ بان البيزنطيين يسمونها

أساتذته وشيوخه

تلمذ على نخبة من الاساتذة المعروفين في اختصاصهم العلمي ، والذين لا زالت آثارهم واسماؤهم تتردد في ^{أندية} اندية العلم والمعارف حتى هذه الساعة • وهم حسب ما اقتصوا به وتلقى عنهم :-

أ - أساتذة الحديث : وأشهرهم :-

- ١ - عبد الله بن محمد البغوي المتوفى سنة ٣١٧ هـ •
- ٢ - أبو سعيد الحسن بن زفر العدوي توفى سنة ٣١٩ هـ •
- ٣ - أبو بكر عبد الله بن الاشعث السجستاني توفى سنة ٣١٦ هـ •
- ٤ - أبو محمد يحيى بن صاعد توفى سنة ٣١٧ هـ •
- ٥ - يوسف بن يعقوب القاضي توفى سنة ٢٩٧ هـ •
- ٦ - الحسين بن اسماعيل المحاملي توفى سنة ٣٠٣ هـ •
- ٧ - أبو بكر بن مجاهد المقرئ توفى سنة ٣٢٤ هـ •

ب - أساتذة النحو والادب : وأشهرهم :-

- ١ - ابن در ستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ هـ •
- ٢ - الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ •
- ٣ - الاخفش الصغير المتوفى سنة ٣١٥ هـ •
- ٤ - نفظويه المتوفى سنة ٣٢٣ هـ •
- ٥ - ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ •
- ٦ - ابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ •
- ٧ - ابن الانباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ •
- ٨ - ابن أبي الازهر المتوفى سنة ٣٢٥ هـ •
- ٩ - ابن شقير المتوفى سنة ٣١٧ هـ •
- ١٠ - المطرز المتوفى سنة ٣٤٥ هـ •
- ١١ - جنحطة المتوفى سنة ٣٢٦ هـ •
- ١٢ - ابن قتيبة المتوفى سنة ٣٢٢ هـ (١)

(١) يستحسن مراجعة كتب الرجال والتراجم - عن هؤلاء العلماء - وكذلك كتاب (الاعلام) للزركلي - و (أعلام المؤلفين) لكحالة و (طبقات النحويين واللغويين) للانباري •

جامعته ومحاضراته

استقبل (أبو علي القالي) البغدادي ، استقبالا يليق بمنزلته العلمية ، في عهد (عبد الرحمن الناصر) سنة ٣٠٠ هـ - ٣٥٠ هـ . وابنه (الحكم) سنة ٣٥٠-٣٦٦ هـ . الذي دعاه واحبه واحترمه وشجعه وجعل له ندوة في المسجد الجامع (بقرطبة) . وفي مجالس قصور (الزهراء) فالتف حول منبره الطلبة التي سمعت بمقدمه ، وعرفت له مكاتبه ، وشهرته وفضله ويعتبر الشيخ (أبو علي) أول استاذ رسمي في الاندلس يلقي محاضراته ويملي رواياته ويستشهد بأقواله وأفعاله ويعتمد على آرائه في النحو واللغة والادب في (جامعة قرطبة) منذ دخوله سنة ٣٣٠ هـ حتى وفاته سنة ٣٥٦ هـ .

وكان (القالي) يمثل في أفكاره ومناقشاته المدرسة البصرية في اللغة التي تأثر بها يوم أن تتلمذ في بغداد وأقام بها سنين طويلة^(١) .

ان الملاحظ في مؤلفات (البغدادي) كالاتي والنوادير وغيرها هو انه حصرها في الافكار والآراء المشرقية والمدارس النحوية البصرية والكوفية والبغدادية . وهذا يعطينا مثلا على أن الفكر الاندلسي في شؤون اللغة والادب لم يكن متبلورا واضح المعالم في حينه كما يؤثر في أدب القالي ، أو ينعكس في مؤلفاته . وجاراه في ذلك صاحب (العقد الفريد) ابن عبد ربه الاندلسي .

قال العلامة المستشرق المعروف (بروكلمن) في تاريخه : وفي سنة ٩٤٢م عرفت (قرطبة) فقه اللغة على يد أبي علي القالي^(٢) .

ان محاضرات ودروس الشيخ أبي علي البغدادي امتازت بترافتها واسلوبها المرن وبعمق وطرق مناقشاتها وهذا ما يرى واضحا في تأليفه

(١) راجع : عن مدرسة البصريين - وطبقات نجاتها - (طبقات النحويين واللغويين) للزبيدي - ط ١٩٥٤/١ - ص ٢٠٢ وما بعدها .
(٢) راجع : بروكلمن - تاريخ الشعوب الاسلامية ط ١ بيروت ج ٢ ص ١٦١ .

وآثاره وما نقله عنه تلاميذه وأتباعه •

وقد ألف أحد مريديه (أبو محمد الفهري) كتاباً قيماً في رواياته ودخوله الاندلس • وذكر العالم الاسباني المستشرق (أنخيل بلانسيه) A. G. Palancia في مؤلفه (الفكر الاندلسي) قوله متحدثاً عن عهد الحكم ابن الناصر ٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٥٦-٩٦١م : وعليه وفد العالم المشرقي النابه أبو علي القالي • وكان رجلاً فذاً - ذا أثر ملحوظ فيمن عاصره ، أو جاء بعده من أهل اندلس (١) •

تلامذته

كان لأبي علي القالي مدرسة ومنهج خاصان به ، وقد تتلمذ على يديه وسمع منه عدة من شيوخ الادب والعلم والرواية في الاندلس • حتى ان الانسان ليجد الوفرة المتزاحمة في طيات كتب ومؤلفات الاندلسيين التي لا تخلو منها عبارة « روى أو سمع عن ابي علي القالي » !!
وأهم من قرأ عليه وسمع منه هم :

١ - الشيخ العلامة أبو بكر الزبيدي النحوي - محمد بن الحسن صاحب (مختصر كتاب العين) المتوفى سنة ٣٧٩هـ (٢) •

٢ - ثانيهما الشاعر المشهور الذي كان يسمى بشاعر الاندلس أبو عمر يوسف بن هرون الرمادي المتوفى سنة ٤٠٣هـ وقد استقبله بقصيدة يمدحه بها عند دخوله قال منها :

روض تعاهده السحاب كأنه متعاهد من عهد « اسماعيل »
فالشرق خال بعده فكانما نزل الخراب بربعه المأهول
وكانه شمس بدت في غربنا وتغيبت عن شرقهم بأقول

(١) انظر : الفكر الاندلسي ط ١ ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٦٠

(٢) بعضهم يثبت سنة وفاة الزبيدي سنة ٣٨٠هـ •

- ٣ - ومن سمع عنه أيضا أبو محمد عبد الله بن الربيع التميمي •
٤ - وأحمد بن إبان بن سعيد •

آثاره ومؤلفاته

لهذا النابغة العراقي (البغدادي) مؤلفات جمعة اعتمدت عليها الاندلس في دراسة اللغة والادب والرواية منها :

- ١ - كتاب النوادر
 - ٢ - كتاب ذيل النوادر (أربعة أجزاء)
 - ٣ - فعلت وافعلت
 - ٤ - افعل من كذا
 - ٥ - المقصور والمحدود والمهموز (عشرة أجزاء)
 - ٦ - البارع في اللغة
 - ٧ - الابل وتاجها وجميع أحوالها (خمسة أجزاء)
 - ٨ - حلى الانسان والخيول وشياتها
 - ٩ - مقاتل الفرسان
 - ١٠ - تفسير القصائد والمعلقات ، وتفسير اعرابها ومعانيها
 - ١١ - الامثال
- وقد ألف (أبو عبيد البكري) كتابين اسماهما (التتبيه على اوهام ابي علي البغدادي) وكتاب (اللآلي في شرح الامالي) •

ما حمله القالي للاندلس

أفرد ابن خير الاشيلي صاحب (فهرسة شيوخه) سردا بأسماء المؤلفات التي جلبها أبو علي البغدادي الى الاندلس منها :-

- جزء
- | | |
|-------------------------|----|
| جزء من أخبار نبطويه | ٢٨ |
| أجزاء من أخبار الانباري | ٥ |

أجزاء من أخبار ابن أبي زهر	٧
جزء من أخبار ابن دريد	٥٨
جزئين من أخبار الاخفش	٢
جزء من المدخل للمبرد	١
جزء من المهذب	١
جزء من البهي - للفرا	١
جزء من الالف واللام للمازني	١
جزء من الضيفان لثعلب	١
أجزاء من العروض لابن درستويه	٧
جزء من السرج واللجام لابن دريد	١

وقد ألقى الشيخ (أبو علي) على طلبته محاضرات قيمة عن شعر الشعراء الذين عاصروهم أو من سبقوه بعصور خوالي • كانت تدور مواضيعها عن :

- ١ - شعر ذي الرمة
- ٢ - شعر الخنساء
- ٣ - شعر الخنيلثة
- ٤ - شعر زهير بن أبي سلمى
- ٥ - شعر النابغة الذبياني
- ٦ - شعر حاتم الطائي
- ٧ - شعر طرفه بن العبد
- ٨ - شعر حسان بن ثابت
- ٩ - شعر الاعشى
- ١٠ - شعر عروة بن الورد
- ١١ - شعر عدي بن زيد

(١) راجع فهرست ابن خير الاشبيلي : ومقدمة طبعة كتاب الامالي • ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦ ص -/ب وما بعدها •

١٢- شعر الطرماح

١٣- شعر جميل بثينة وعمر بن ابي ربيعة

١٤- شعر أبي نؤاس

وغير هؤلاء من شعراء جاهليين ، واسلاميين ، وبعض من عاصروهم
في العصر العباسي ♦

لمحات من حياته

الادب الجهم ، اتساع العلم ، جمال المداعبة ، امتداد الصبر ، لطافة
المزاج ، حسن المعاشرة ♦ هي من صفات الشيخ ابي علي رحمه الله ♦

ونحن نثبت بعض الالتفاتات واللمحات المشعة من حياة شيخنا
البغدادي ♦ تاركين حكايته مع (الشيخ ابن رفاعة الاليري) عندما دخل
علمنا الاندلس لأول مرة ومحاولة الشيخ الاليري في اصلاح بيت من الشعر
كان اشده أبو علي ♦

والموقف الثاني يوم وفود رسول ملك الروم لعبد الرحمن الناصر ♦
وقيام القالي بخطبة الترحيب وعيه وتوقفه ، وظهور شخصية الخطيب
(منذر بن سعيد البلوطي) ٢٧٣هـ - ٣٥٥هـ ♦ كل هذا تركناه نظرا لما في
ذلك من التحامل والنقد الجارح وروح الاقليمية وحب الذات^(١) ♦

أما تلك اللمحات فمنها ما يشير لنا عن حرصه للعلم وآثاره ، ومنها
ما يدل على لطفه ، وعلو منزلته وسرعة بديهته وشاعريته الفياضة بالاضافة الى
اسلوبه اللغوي المتين ♦

يحكى عنه انه كان في يده نسخة من (الجمهرة) بخط مؤلفها فاعطي
بها ثلاثمائة مثقال فضن بها ان يبيعها ، ثم اشتدت عليه الحاجة يوما فاضطر الى

(١) راجع : نفع الطيب ♦ في ترجمة القالي - ومقدمة الامالي ط دار
الكتب المصرية ١٩٢٦ ♦

بيعها بأربعين مثقالا وكتب عليها :

أنت بها عشرين عاما فبعتها
وما كان ظني انني سأبيعها
ولكن لعجز وافتقار وصيبة
فقلت ولم أملك سوابق عبرة
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك

وقد طال وجداني بها وحنيني
ولو خلدتني في السجون ديوني
صغار عليهم تستهل شؤوني
مقالة مكوي الفؤاد حزين
كرائم من رب بهن ضنين^(١)

وذكر (الحميدي) في كتابه (تاريخ الاندلس) قال :

أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي • قال كتبت الى ابي
علي البغدادي القالي ، أستعير منه كتابا من الغريب وقلت :

بحق ريم مهفف
ابعث الي بجزء
وصدغه المتعطف
من الغريب المصنف

قال فقضى حاجتي وأجابني :

وحق در تالف
لابعثن بها قد
بفيك أي تالف
حوى الغريب المصنف

ولو بعثت بنفسي
اليك ما كنت أسرف^(٢)

ومما ذكره تلميذه هارون بن موسى بن صالح القيسي المتوفى سنة
٤٠١هـ وقصته الدالة على صبره لطلب العلم وتشجيعه لتلامذته وانشاده لهم
مخاطبا أبا نصر هرون بن موسى تلميذه :

ديبت للجهد والساعون قد بلغوا
فكابدوا المجد حتى مل اكثرهم
جهد النفوس وألفوا دونه الازراء
وعائق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد ثمرا أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولتقف معي بضع دقائق لنفكر مليا بمصير الاندلس ، وتلك الارواح
الخالدة ، السابحة في عالمها السرمدي • ولتمشي معي في الخيال ، لزيارة

(١) راجع تاريخ آداب اللغة العربية لجماعة الغرير ص ٢٩٨ •
(٢) مقدمة الامالي ط ١٩٢٩/٢ المقدمة حرف (ف) دار الكتب المصرية •

(قرطبة) الحزينة ، التي كانت يوم أمس زاهية ، زهراء ، زاهرة !! ولنفتش
معا عن ضريح (ابي علي البغدادي) ذلك العالم الذي هاجر من وطنه فمات
غريبا • بعد أن غزا الاندلس بعلمه ومعارفه وشخصيته اذ توفى في شهر ربيع
الاول سنة ٣٥٦هـ ليلة السبت • وصلى عليه أبو عبد الله الجبيري ، ودفن
بمقبرة متعة ظاهر قرطبة • وكتب على رخام قبره رحمة الله عليه :-

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا فليس لمن وارى التراب حبيب
ولا تدفنوني بالعراء فربما بكى ان رأى قبر الغريب غريب (١)

واليوم فقد أصبحت معالم العروبة في أندلسنا الجميلة خيالا وأطيافا بعد
أن (تأسنت) ديار العرب في تلك الديار • فما أجدر بنا الان أن نعيد الى
أذهاننا بعض صورها الزاهية ، وبعض مظاهر حضارتها الدائمة المتجلية
برجالها الاكرمين الخالدين ، الذين لا يخلو منهم حديث ، ولا تنسى لهم
ذكريات ولا يهمل لهم تاريخ ، ولا يزين بسواهم كتاب ولا تطرب بغير
أدبهم نفوس !!؟؟

وما أبعد البون بين حياة رجل عالم هادىء الطبع ، قوي الحججة ، طيب
القلب ، سمح النفس ، غزير المأدة • وجه حياته للعلم وخدمة الفضيلة • وبين
دول كبيرة تغزو العالم بأساطيلها وجنودها ومعداتها • فتحول النور ظلما ،
والمحبة بغضاء ، والخير شرا •

(١) مقدمة الامالي ط٢ دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ص١٠ المقدمة •

أهم مصادر البحث

- ١ - المكتبة الاندلسية B. A. H. نشر فرنسيسكو قديره مدريد / ١٨٨٢
- ٢ - جذوة المقتبس تحقيق محمد بن تاويث الطنجي ط ١/ ١٩٥٢
- ٣ - الاعلام ج ١ للزركلي ط ٢ ١٩٥٩
- ٤ - دائرة المعارف الاسلامية - الطبعة العربية - ترجمة خورشيد وجماعته
- ٥ - تاريخ اداب اللغة العربية ١٩٢٥
- ٦ - نفح الطيب ط ١ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٩
- ٧ - وفيات الاعيان - ط ١ محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٨
- ٨ - بونس Pons مدريد ١٨٩٨ ط ١
- ٩ - بلانسيه Palancia الفكر الاندلسي ترجمة الدكتور يونس ط ١ ١٩٥٥
- ١٠ - الامالي - ط ٢ دار الكتب المصرية ١٩٢٦
- ١١ - بروكلمن - تاريخ الشعوب الاسلامية ط ١ بيروت ٩٤٩
- ١٢ - طبقات النحويين واللغويين نشر محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٤ ط ١
- ١٣ - بغية الوعاة - للسيوطي ط ١ ١٣٢٦
- ١٤ - روضات الجنات ط ايران
- ١٥ - أنباه الرواة - للقفطي ج ١ ط ١

التعريف

بابن زريق البغدادي

- كان في العصر العباسي الثالث
- أخباره قليلة جدا
- لم تعرفه المصادر الاندلسية
- ترك القصيدة العينية واشتهر بها
- لم يترجمه الا قليلون
- نسبت بعض أبيات من قصيدته لابن الوكيل والوأواء
الدمشقي
- عارض قصيدته وخمسها بعض الشعراء والشاعرات ◦

ابن زريق البغدادي

شاعر هجر وطنه - فمات في أحضان الاندلس

حدود سنة ٤٢٠ هـ - ١٠٢٩ م (١)

في تاريخ الادب العربي ذخيرة لا تنفذ من زاد المعرفة ، ومن فيض
العرفان • نرجع اليها كلما ضاقت بنا سبل الرشاد • واضطرت نفوسنا لدراسة
موضوع يعوزنا البحث عنه •

وهذه اللغات الطيبة التي سجلها لنا مؤرخو الادب ، منها ما جاءت
ناقصة يعوزها التدقيق ومنها ما جاءت مقتضبة ، بحيث جعلتنا نعيش في جو
غامض مدلهم !! لاسباب سياسية ، أو عقائدية ، تبعاً للظروف والاحوال ،
ورغبة في ارضاء المتنفذين والرؤساء !

فهذا شاعر مثلاً ، تجد عنه الحديث الزاخر من الشعر والقول ،
والاطراء والاطناب ، يحتل الصفحات الكبيرة من أسفارنا العربية القديمة •
مع ما لديه من سخف المعنى وسخف اللفظ • لانه كان يتزلف لذوي الجاه
والحكم ، وذلك لا يحظى الا بزاوية مظلمة صغيرة ، لا تسلط عليها أشعة
الجللاء ، وكاشفات العتمة ، كي لا يعرفه الناس ، ويعرفون فضل علمه
وشخصيته ، وذنبه انه لم يتزلف لذوي النفوذ في عصره ، ويسير في بهرجة
مواكبهم المزيفة !؟

ومن بين هؤلاء الذين تبعتهم ذئاب الفقر والمجاعة تلتهم منهم العز والثروة

(١) راجع : بروكلمن - تاريخ الادب العربي - ط ١ ترجمة الدكتور
عبد الحلیم النجار - ١٩٦١ ص ٦٦ رقم ٢١ ج ٢ - وهذا التاريخ فيه اختلاف
عن زمن هجرة الشعاع •

والهدوء والطمأنينة والاستقرار في وطنهم •

الشاعر الكاتب (أبو الحسن علي بن زريق البغدادي)^(٢) الذي تلاعبت بأشعاره أيدي العابثين ، وقطعت أوتار قضائده أنامل الناقلين والمؤرخين والمتشاعرين ، لا لسبب جناه ، ولا لذنب أثمه ، بل لانه مغمور في ذلك الوسط الذي كثرت فيه طوائف الامراء ، وازدادت فيه شفاعات المعتفين ووقفت في أبواب خلفائه زمر الشعراء ، تطلب اللقمة فلا تجدها الا بقصيدة طويلة كالمعلقات كلها تزلف وهراء ، تريد البلغة فلا تعثر عليها الا في الجهد ، والتجوال والسفر والانتقال •

أما هذا العصر فهو العصر العباسي الثالث^(١) الذي ازدادت فيه المبالغة ، وطول القصائد ، وتولدت فيه الموشحات الاندلسية والدهريات والصوفيات والفلسفيات والزهريات والهزليات والاخوانيات والمجونيات ، واقتبل علماءؤه وامراؤه وكتابه على نظم الشعر ، وازاد عدد الشعراء والمتشاعرين ، حتى قيل ان صاحب بن عباد بنى دارا فهنأ بها خمسون شاعرا ، وان صديقا له مات حماره فرثي الحمار بأكثر من خمسين قصيدة !!

أما الظاهرة الاخرى في هذا العصر فهي زيادة المكتبات كمكتبات بغداد والقاهرة وقرطبة • التي تضم آلاف المجلدات والدواوين الشعرية • والكتب الفلسفية والمنطقية والفقهية • وظهرت جماعة من المتشاعرين ، ونبغت طبقة من الشعراء الكبار • عند الدويلات العربية ، في الداخل وفي الحدود من البلدان العربية ، ممن ضمتهم الدولة الحمدانية ، في حلب ، والبويهية في فارس والسامانية ما وراء النهر ، والشاطبية في مصر ، والمروانية في الاندلس ، وغيرها ممن تفصلها كتب التاريخ •

(٢) في طبقات الشافعية الكبرى - للسبكي ج/١ ط ١ ص ١٦٢ قصيدة ابن زريق وبعض أخباره •

(١) جعل زيدان (ابن زريق) في العصر العباسي الثالث - اداب اللغة العربية ج ٢ ط ١ ص ٢٦٤ •

هذه الدول أضرت من ناحية السياسة العامة والوحدة ، وأفادت من ناحية الادب وتشجيعه وأقصد بتشجيع الاديب ، ادب التملق ، والاطراء ، والمدح ، والتفاخر ، والمظاهر • كما لها فضل في نواحي العلوم ، ودوائر المعارف ، والسياسة ، والاقتصاد والامتصاصات •

هذا هو الموجز لحياة هذا العصر الذي برزت فيه شخصية الشاعر (أبو الحسن البغدادي) كما برزت فيه شخصيات المتبني ، والمعري ، والحمداني ، وابن هاني الاندلسي • والوأوا دمشقي ، والشريف الرضي ، ومهيار الديلمي ، وابن شهيد الاندلسي ، وابن دراج القسطلبي الاندلسي • وغيرهم •

شخصية الشاعر وسفره للانديلس

هو علي بن زريق البغدادي (أبو الحسن) الشاعر والكاتب ، فتحت عيناه على دجلة المغناج وكرخها الجميل ، ورصافتها البكر ، وبدت حياته هنيئة ناعمة في مطلع شبابه ، بين أحباب ذابت مهجته في حبهم ، وفي بلد ضم أقمارا من الحسن ، وزهورا من الجمال •

استودع الله في بغداد لي قمرا
بالكرخ من فلك الازراء مطلعته
ودعته وبودي لو يودعني
صفو الحياة واني لاودعه (١)
وكم تشفع بي أن لا افارقه
وللضرووات حال لا تشفعه (٢)
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى
وأدمعي مستهلات وادمعه

(١) في مخطوطة رقم ٦٩٤ المستنصرية - ورد البيت هكذا : ص ٧٢ :
ودعته وبودي لو تودعني طيب الحياة واني لا أودعه
وفي مخطوطة رقم ١٧١٦ - المستنصرية ص ٢٣٣ :

ودعته وبودي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه

(٢) ورد هذا البيت في المخطوطتين رقم ٦٩٤-١٧١٦
وكم تشفع لي الا أفارقه وللضرورة حال لا تشفعه

ولكن النعمة التي عاش بها ابن زريق ، ضاعت من يده ، والحبيب الذي
غرس في رياض وده زهرة محبته - لم يستطع أن يحتويه ويضمه ، فضاع
من بين يديه ماله وهواه فقال :-

اعطيت ملكا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه (١)
ومن غدا لابس ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنه الله ينزعه
كم قائل لي ذقت البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه (٢)

وفي عهده شحت الاموال للاضطرابات السياسية ، والعوامل الخارجية
التي كانت تصيب الدولة من منافسيها الاقوياء وهجومهم المتتابع ، الذي كان
ينفذ المال والرجال ، ويقلق الفكر والبال . فقصرت يد الشاعر عن المادة ،
فرحل وسعى وراءها حتى يقضي بها حوائج المعاشية ، ويدير بها شؤون
بيته ، ويجمع بواسطتها عقد أحيابه ، وهو كما يبدو من شعره غير سعيد
الجد ، لم يهدأ من سفرة الا ويستعد لآخرى ، ولا يذهب عنه هم الا ويحيط
به آخر .

ما آب من سفر الا وأزعجه عزم الى سفر بالرغم يزعمه (٣)
تأبى المطالب الا أن تكلفه للرزق سعيا ولكن ليس يجمعه (٤)

- (١) ورد البيت في مخطوطة رقم ٦٩٤ هكذا :
رزقت ملكا ولم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه
وفي مخطوطة رقم ١٧١٦ هكذا :
- ملكتم ملكا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه
(٢) ورد في المخطوطتين السالفتين هكذا : رقم ٦٩٤
كم قائل قال ذقت البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
وفي رقم ١٧١٦ :
- كم قائل لك ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
(٣) في مخطوطة رقم ٦٩٤ هكذا :
ما آب من سفر الا وأزعجه رأي الى سفر بالرغم يجمعه
وكذلك ورد في مخطوطة ١٧١٦ :
- (٤) ورد هكذا في رقم ٦٩٤ وفي رقم ١٧١٦ :
- تأبى المطامع الا ان تجشمه للرزق كدحا وكم ممن يودعه

كأنما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الله يذرعه^(٥)
إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحي وهو يقطعه^(٦)

هجرة الشاعر

نعتقد ان لهجرة الشاعر الى اسبانية اسبابا عدة ، منها السعي وراء المال ،
والامال التي راودت مخيلته في أن ينال ما يريد من خير ، من خلفاء أو امراء
الامويين في الاندلس ومنها الاضطهاد الفكري الذي ربما لحقه في بغداد
لمعارضته لسياسة العباسيين ، أو لخلافه مع سياسة الدولة القائمة يومذاك ،
ونحن نعلم كم شردت السياسة من رجالات الفكر والادب ، واضطهدت
المفكرين والاحرار ، وقضت على النخبة المختارة من الوطنيين المخلصين .
وان للضرورات أحكاما كما يذكرون تبعد الانسان عن مراتع صبوته ، وتذيق
الفرد مرارة الفرقه ولهب الهوى والنوى !!

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حدا أضربه من حيث قدرت ان اللوم ينفعه^(٧)
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا من عنفه فهو مضنى القلب موجهه^(٨)
يكفيه من روعة التفتيد ان له من النوى كل يوم ما يروعه

(٥) ورد هكذا في رقم ٦٩٤ وفي رقم ١٧١٦ هكذا :
كأنما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه

(٦) ورد هكذا في رقم ٦٩٤ :
إذا لزماح أراه في الرحيل غنا ولو إلى السند أضحي وهو يزعمه
وفي رقم ١٧١٦ :

إذا لزماح اداه في الرحيل غنا ولو إلى السند أضحي وهو يزعمه
(٧) ورد هكذا في المخطوطتين رقم ٦٩٤ و ١٧١٦ :
جاوزت في لومه حد المضربه من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
(٨) ورد هكذا في رقم ٦٩٤ و ١٧١٦ :

فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا من عدله فهو مضنى القلب موجهه

والحق ان هذا الشاعر العس ، لم يكن بالناكر للحب والجاحد
للمودة ، والناسي للعهد ، بل انما هو يعيش في شقاء مستمر ، ونوم قلق ،
وعيشة نكده ، شأنه شأن من تركهم وراءه في دار السلام ، وفي ظلال
دجلة الناعمة •

يا من أقطع أيامي وانفذاها حزنا عليه وليلي لست أهجعه (١)
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا لا يطمئن به مذ بنت مضجعه (٢)
من عنده لي عهد لا يضيع كما عندي له عهد صدق لا أضيعه (٣)
ومن يصدع قلبي ذكره واذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه

وهكذا تسير قافلة الشاعر يحدوها الامل ، ويغذيها الالم ، ويطعمها
القلق ، ويسقيها الهم ، تسير متوجهة الى الاندلس ، وهو في أحلام أمانيه ،
وفي مرارة صبره معتقدا بأن بعد الظلمة نورا ، وان بعد الشدة فرجا •

غير انه دخل في دوامة جارفة لم يخرج منها الا وهو يفيض بأنفاسه ،
ويردد آهاته ، ويبعث لشكواه بقصيدة خلدت شجونه ، وصورت تحطيم
أمانيه ، ولو اعج حبه ، ولهب شكواه وفراقه !!

أما طريقة موته فبعضهم ينسبها الى انتحاره وهي رواية يعوزها
الدليل ، وتستبعد من نفس طموحة ، دفعتها الآمال والمغامرة ، لقطع الفيافي
والبحور ، وتذليل المشقات • ولكن الصدمة المفاجئة هي التي أثرت في نفسه ،
وشلت حر كاته قلبه الخفاق المتألم ، ن مات سريعا ، كما يموت الفجر في أحضان
الشمس الالهة !!

(١) ورد في مخطوطة رقم ٦٩٤ هكذا وفي رقم ١٧١٦ :

اني لاقطع أيامي وأنفذاها بحسرة منه في قلبي تقطعه

(٢) ورد في مخطوطة رقم ٦٩٤ هكذا :

لا يستقر لقلبي مضجع وكذا لا يستقر له مذ نبت مضجعه

(٣) ورد هكذا في مخطوطة رقم ٦٩٤ ورقم ١٧١٦ :

من عنده لي عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا أضيعه

وان هذه القطع الدامية التي ظلت أترا يشير باصابعه الى مصير الاديب
البائس ، والشاعر الشاكي • جعلتنا لا نعتر بل نشك بالمظاهر الملونة الزاهية
التي اسبغها مؤرخو ذلك العصر ومن تبعوهم في تصويرهم لتقدير الاديب •
ووصفهم للنعم والسعادة ، لذوي الشاعرية والعبقرية ، من لدن أصحاب
الدولة والصولة •

وما الحالة التي عاناها (ابن زريق البغدادي) والنهاية التي أصابته الا
مظهر صادق من مظاهر تردي ذلك الزمن وسوء أوضاعه الاجتماعية المختلفة،
وقلق استقراره السياسي •

فشله في الاندلس

لم أر في المصادر التي بين يدي نورا واضحا يدلني على أسباب فشل
الشاعر البغدادي في سفرته الطويلة الممضة ، وضياح آماله هناك • كما واني
لم استطع أن أتبين ملامح الخليفة أو الامير الاندلسي الذي زاره شاعرنا ،
ولم يحظ لديه بالخير والمنة سوى ما ذكره لنا المرحوم الاستاذ (جرجي
زيدان) في مؤلفه (تاريخ آداب اللغة العربية)^(١) عند تحدثه عن شعراء
الثالث العباسي قال :-

« لا يصح الاغضاء عن أبي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي ،
صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه وبأسه بعد أن قصد - صاحب
الاندلس - ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلا فاعتل ومات » •

وذكر ان - صاحب الاندلس - انما أراد أن يختبره ، فلما كان بعد
أيام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتا وعند رأسه رقعة

(١) آداب اللغة العربية - لزيدان ط ١ ١٩١٢ ج ٢ ص ٢٦٤ •
أما بروكلمن في تاريخ الادب العربي ط ١ ترجمة النجار ص ٦٦ ج ٢
١٩٦١ « فيشير الى انه رحل الى ابي عبد الرحمن الاندلسي يرجو العطاء » •

فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :-

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه (١)

هذه الخلاصة الوجيزة لا تكشف لنا بوضوح عن وفاة الشاعر ولا عن سيرة حياته وآثاره ، ولا عن أسباب سفرته وترحاله ولا عن اسم (صاحب الاندلس) وتاريخه . أما موضوع الاختبار فرواية لم يتحقق معناها ومغزاها ، وهل ان الملوك كانوا يختبرون اخلاص الوائفين المادحين أمام أبوابهم وفي مجالسهم ، بقدر ما كانوا يطربون لسماع مدحهم وتعظيمهم !!؟

ومن الذي منع صاحب الاندلس - مثلا - أن لا يختبر (زرياب) المغني البغدادي ، الذي ترك بغداد ليحل في قصر الخلافة هناك ؟ أهى المصادفات ؟ أم الظروف ؟ التي حالت دون تحقيق أمنية الشاعر وسعادته . والتي منعت يد الخليفة أو الامير الاندلسي ان لا تجوز عليه الهبات ؟

لكنني وجدت بأن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يوم زيارة الشاعر لاسبانيا كانت ظروفًا حرجية تحيط بالدولة الاموية المروانية ولسياستها الداخلية والخارجية لاننا نعلم بأن ملوك الاندلس - كعبد الرحمن الناصر صاحب الزهراء والحكم وهشام ، كانوا يشجعون الادباء ويقدرّون الشعراء والفنانين ويحترمون الادب الذي سخرّوه لخدمة سياستهم شأنهم شأن الدول الشرقية ، ناهيك بالحاجب المنصور بن أبي عامر وملوك الطوائف ، كآل عباد ، وآل ذي النون . كلهم يحتلون الصفحات في تاريخ الادب العربي ، عن هباتهم ومساعداتهم لمن وصفوا ما آثرهم ومفاخرهم . واجادوا في بعث الغرور في نفوسهم ، ولكن هل ابن زريق لم يستطع أن يخلق ذلك الجو الساحر في قصيدته ليؤثر فيه على قلوبهم وأفكارهم - وهل ان شعر المشرق ، وخاصة الشعر البغدادي لم يقدر أن يزاحم الموشحات الناعمة والقصائد الوجدانية الحاملة ؟ لا أنظن ذلك .

(١) نسبها بعضهم الى الشاعر حسام الدين الحاجري (ابن الوكيل) وهذا خطأ - راجع مخطوطة رقم ١٩٤٤ ص ١١٢ المستنصرية .

غير اننا لو القينا نظرة موجزة على الحالة في الاندلس أي في مطلع
القرن الثالث الهجري لوجدنا الانطباعات التالية :-

١ - في عصر عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) حل بالاندلس قحط
شديد ومجاعة عامة وارتفاع بالاسعار وأمراض ومحن وموت وافر ، حصد
النفوس لمدة عامين ، مع ثورات (ابن حفصون) في غرب البلاد ، وثورة
(طليطلة) و (بنسية) على الخليفة الاموي ، وتضامن مملكتي (ليون)
و (نفارا) ومقاومة عبد الرحمن للدولة الفاطمية الجديدة في شمال أفريقيا •
ولا يهمننا ما وصفه (ابن حوقل الرحالة البغدادي) عند زيارته قرطبة
في هذا العصر ، ومبلغ غنى الناصر فهذه رواية جاءت بعد استقرار الخلافة
بمدة من الزمن ، وبها صوراً المبالغة !!

ورحلة (ابن زريق) لا يستبعد انها كانت في مثل هذه الاحوال
المضطربة الهائجة التي تتطلب من الخليفة التدبير والحزم ، قبل سماع
قصائد المديح •

٢ - ولو فرضنا فرضاً آخر ، وهو ان الشاعر زار الاندلس في خلال
خلافة (الحكم بن عبد الرحمن) الذي تولى حكمه وعمره ٤٧ عاماً من
سنة ٣٥٠-٣٦٦هـ الا انه كان ضعيف الشخصية مصاباً بالشلل مقلداً أمور
الدولة لمحظيته الحسناء (صبح) الفوطيه Ourora المحاطة باتباعها وعشيقها
المغامر ابن ابي عامر ، والحاجب جعفر ابن عثمان الصحفي • ولم تكن حالة
الحكم النفسية والجسدية تساعد على تقبل الشعر وسماع المديح •

٣ - أما الغرض الثالث والاخير ، فهو انه بموت الخليفة الحكم تولى
الامر الفعلي ثلاثة وهم :

محظيته (صبح) أم هشام ، والمصحفي ، والوزير ابن عامر وبدأ
التنافس على أشده ، والمؤامرات في أوجها والثورات في زحمتها على الدولة
التي تحاول القيام على أقدامها كمجدها السابق ، وليس لها من خليفة الا
(هشام الصغير) ابن المحظية الفوطيه • الذي لا يحمل من الملك الا اسمه

والذي قال بعضهم عن لسانه (١) .

أليس من العجائب ان مثلي يرى ما قلَّ ممتعا عليه
وتملك باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه

ولا يستبعد أن تكون زيارة الشاعر في عهد (هشام) المحجور عليه في قصره ، أو في عهد المنصور بن ابي عامر المشغول بهواه مع صبح أو بالقضاء على ثورات المنافسين لسلطته من الامويين ، وصاحبه أبي عثمان المصحفي .

اذن ، من كل هذه الاستنتاجات السالفة الذكر ، كانت الظروف غير حسنة لسفرة (ابن زريق) فمن عوامل سياسية مضطربة ، ومن محن قاسية ، ومن تصارع وأهواء ودسائس ، ومن حالات نفسية متشابكة . جعلت أن تكون سفرته فاشلة ، لم ينل نصيبا من الخير ، أو وافرا من النعم .

فعاد الى المسجد غريبا ، يأسا ، حزينا . يفكر بوضعه ، فوجد ان رجوعه لاجابه بالفشل الذي يحيطه انتحارا بطيئا وبالالم الذي يغمره شقاء مستمرا . ففرقت نفسه الابية في بحران همومها ليلا ، وشرذ فكره نهارا ، حتى طغت سيول الحزن عليه ، ولم يساعده القدر على احتمالها فمات وهو ينشد رائعته الباقية على اللسن ، المشيرة الى انه أحد الضحايا الكادحين ، الذين لم تسمح لهم نظمهم الاجتماعية ان ينالوا حقهم في حياة من الاستقرار والعيشة الهنية . بل عاش مشردا ، ومات مهاجرا ، وخلد شاعرا ، تحت رأسه المترنح قصيدة ، وفي نفسه المضطربة آمال ، وفي قلبه المتنازع حب . وفي حنجرتة المضطربة صرخة ، وفي عيونه الشاخضة نغمة وثورة :-

لا صبرن لدهر لا يمتعني به ولا بي في حال يمتعه (١)
وان تل احدا منا منيته لا بد في غده الثاني سيبته

(١) راجع البيان المغرب - لابن عذاري المراكشي ط صادر ج ٢ ص ٣٧٧
في وصفه لحالة الخليفة هشام بن الحكم الملقب بالمؤيد .
(١) ورد في مخطوطة رقم ١٧١٦ ص ٢٣٧ قوله :
وان ينل احدا منا منيته فما الذي بقضاء الله نصنعه

أما الذين أنصفوا الشاعر بعد موته ، واهتموا برأئته^(٢) الفريدة •
منهم :- (العلامة البهائي) في كشكوله وشارحها (علي بن عبد الله العلوي)
ومخمسها (علي بن ناصر الباعوني) وللشرح والتخمين كما يذكر (زيدان)
نسخة في (مكتبة برلين) ولكن المؤرخ (الثعالبي) في يتيمة نسب بعض
أبيات القصيدة للشاعر (الوأواء دمشقي) المتوفى سنة ٣٩٠ هـ والقائل^(٣) :-

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضاً بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولاً عن ملاطفة ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ونسبة (الثعالبي) لا تظهر لنا ملامح الوأواء بقدر ما تشير الى قوة
(ابن زريق) الشاعرية وشهرته التي ظلت بعده من ارثه الشعري ، الذي لم
تستطع الا زمان أن تشوّهه ، وتذهب من بهائه ، لان الشعر الخالد كالروح
الخالدة في عالم اللانهاية • تسع حيزاً ، وتسع نورا ، كلما طال زمانها ،
وتقادم عهدا •

قيض الله لك أيها الشاعر العاثر من يعيد لك شعرك ، ويحفظ لك
ذكرك ، ويقدر لك ادبك ، ويجمع لك شتات آمالك التي ضاعت في حياتك ،
وخلدت مع الزمن بعد ذهاب أيامك !؟

(٢) يراجع : فهرست مخطوطات برلين - تحت رقم ٧٦٠٦ - ٧٦٠٧
سنة ١٨٩٤ وتاريخ اداب اللغة العربية - زيدان ج ٢ ص ٢٦٤ •
(٣) راجع : يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٧٧ ط ١ ١٩٤٧ • تحقيق الشيخ
محمد محي الدين عبدالحميد •

أهم مصادر البحث

- ١ - بروكلمن - ط عربية ج ٢ ص ٢٢ - ترجمة النجار دار المعارف بمصر .
- ٢ - السبكي - طبقات الشافعية الكبرى ط ١ الحسينية - ج ١ .
- ٣ - الجزائري - مجموعة المزدوجات ط الاسكندرية سنة ١٢٧٨ .
- ٤ - الزركلي - الاعلام ط ١٩٥٩/٢ .
- ٥ - البستاني - دائرة المعارف ج ١ ص ٢٩٠ .
- ٦ - المقدسي - المختارات السائرة - ط الاميركانية ١٩٤٣ .
- ٧ - فهرست القاهرة ج ٢-٣-٢٣ سنة ١٩٢٧ .
- ٨ - مخطوطة المستنصرية رقم ٦٩٤ ص ٧٢ وما بعدها .
- ٩ - مخطوطة المستنصرية رقم ١٧١٦ ص ٢٣٠ وما بعدها .
- ١٠ - الندى الرطيب - في الغزل والنسيب - لسركيس . بيروت المطبعة الادبية ١٨٨٦ .
- ١١ - فهرس مخطوطات برلين - سنة ١٨٩٤ رقم ٧٦٠٦ ص ٥٨٥ ورقم ٧٦٠٧ .
- ١٢ - مصارع العشاق - مطبعة الجوائب ط ١ القسطنطينية سنة ١٣٠١ ج ١ ص ٩ .
- ١٣ - معجم المطبوعات العربية - لسركيس تحت رقم ١٩٥١ في ترجمة ولي الدين يكن .
- ١٤ - نفع الازهار - ص ٥ - نشر مكتبة محمود توفيق - مصر .
- ١٥ - مناجاة الحبيب - في الغزل والنسيب - لبشير رمضان - بيروت ط ١ .
- ١٦ - الكشكول - للبهائي - المطبعة البهية ج ١ ص ٥٦ سنة ١٣٠٢ هـ .
- ١٧ - مدامع العشاق - للدكتور زكي مبارك ط ٢ ص ٥٢ .
- ١٨ - ثمرات الاوراق - لابن حجة الحموي ص ٢١٠ ط ١ مصر سنة ١٣٦٨ .
- ١٩ - تاريخ آداب اللغة العربية - لزيدان - ج ٢/١٩١٢ ط ١ .
- ٢٠ - البيان المغرب - لابن عذاري المراكشي ط صادر ١٩٥٠ بيروت ج ٢ .
- ٢١ - شعراء الواحدة - نعمان ماهر الكنعاني ط الصباح بغداد ١٩٤٥ ص ٤٤ .
- ٢٢ - من عبقریات نساء القرن التاسع عشر - يوسف مسكوني - ج ١ ط ٢ المعارف - ١٩٤٧ ص ١٥٣ .
- ٢٣ - المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي - كوركيس عواد - القسم الثاني ط الرابطة بغداد ١٩٥٨ .
- ٢٤ - تراجم اسلامية - شرقية واندلسية - محمد عبد الله عنان .
- ٢٥ - يتيمة الدهر - للثعالبي ط ١ ج ١ محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٧ .

مخطوطة قصيدة ابن زريق البغدادي

ابن زريق البغدادي

لا تغذليه فان العذل يواجه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
 جاؤني في لومه حد المنص من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
 فاستهي الرقي في تأنيده بلا فعذله فهو مضن القلب مو^{جعه}
 قد كان مضطعا بالبين تحمله فضلعت فرخطوب الدهر^{اضلعه}
 يكفيه فلوحة التفريق ان له من النوى كل يوم ما يروعه
 ما اب فسفر الا واخرجه راي الى سفر بالرغم يجمعه
 تبا المطامع الان تجتمعه للزق كدحاو كرم من يودعه
 كانا هوي حل ومرتحل موكل بنضا الارض يذعه
 ادا الرمان الرام في الرجل غنا ولو الى السير اصح وهو رجه
 واما هدة الانسان واصلت من قاولادعة الانسان تمنعه
 بدتم الله بي الخلق زرقم لرحلنك السر من خلق يضيعه
 لكمم طلووا حراما ليس يرى مستزقا وسوا الغايات تمنعه

القسم الاول

(١)

- (١) مخطوطة رقم ٦٩٤ ص ٧٢ وما بعدها .
- (٢) المستنصرية - الاثار - بغداد
- (٣) مجموعة اشعار قديمة - في القرن الحادي عشر للهجرة ١٧م (١)
- (٤) لم يذكر اسم جامعها .

(١) راجع : المخطوطات العربية - في مكتبة المتحف العراقي -
 للاستاذ كوركيس عواد - (القسم الادبي) ١٩٥٨ ص ٤٨ .

مخطوطة قصيدة ابن زريق البغدادي

فالحروف الرزق ولا الرزق ^{تسبت} بي الا ان يعجز برعه
 والذهب عبي الفوق محبت يمع ارتاوي ينفذ محبت يطمعه
 اسنودع الله في بغداد لي قر الكرم ففلك الازرار مطلع
 ودعته وبودي لو تودعني طيب الحياة واي لا اودعه
 وكو تسفع لي الا انا قره وللحزرة حال لا يسفعه
 وكو تشبثني خو والفرق تصي وادمي مسه نامة وادمعه
 لا الكذب الله ثوب العذ منق عني يفرقه لكن ارقعه
 ابي لا وسع عذري فحبا يبد بالبين عني وجرمي لا يوسع
 رزقت ملكا ولم لحنر سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلفه
 وضعه الاسباب النعم بلا شكر عليه فان الله يزرعه
 اعتصت عروجر خي بد قرة كاسا حوج مها ما احرعه
 كره قابل قال دقت البين قلت له الرب والله ذنبي لست ادفعه
 الا ائت وكان الرشد لجمعه لو اتي يوم بار الرشد تبعه
 ابي لا قطع ايامي وانفذهها بحسنة منه في قايبي تقطعه
 من اذا اجمع النوام بيت له بلوعت منه ليالي لست اجمعه
 لا يستقر لقا بي مضجع وكذا لا يستقر له مدنت مضمعه
 ما كنت حسب ريب الدهر محيني به ولا ان بي الايام تفجعه
 حتى جرى البين فيما بيننا بيد على تمنعني حتى وثقعه
 وكنت في ريب دهر جارعا ابدا فلم اوق الذي قد كنت اجرعه

(٢)

القسم الثاني من القصيدة
مخطوطة رقم ٦٩٤ المستنصرية

مخطوطة قصيدة ابن زريق البغدادي

هل الزمان معيد فيك لذتنا
ام الليالي التي امصت ترجعه
ما لله يا منزل القمر الذي درست
اثاره وعفت مذبت اربعه
في ذمة الله فما صحت منزله
وجاد غيت على امخاك يرمعه
من عنده لي عهد لا يضيعه
كأله عهد صدق لا يضيعه
ومن يصدق ظلي ذكره واذا
جري على قلبه ذكر يصدق
لا صبرن لدهر لا يمتعي
به ولا لي في حال تمتعه
علم ابا ان اصطباي معفت
فاضيق الامان نكرت اوسعه
عنه الليالي التي افاضت نورا
جسي سيمجوني يوما وجمعه
واذ نصل احدنا منيته
قال الذي في قضا الله يصنعه

القسم الثالث والآخر

مخطوطة رقم ٦٩٤ المستنصرية

تخميس قصيدة ابن زريق البغدادي
في مخطوطة ديوان ابراهيم بن يحيى العاملي

يا كوكبا في سما الحسن مطلعاه ^{مرثعه} وشاذنا في سواد القلب مصكعه
صبا يروم المنى والدهر ^{منعه} لا تغذيه فان العذ يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس لسبعه
ما اثر الدهر في عادي منصبه ^{شيا} ولا ضره تكذب مشربه
بل انت دني الولا عين مطلعاه ^{جاوت} في لومه حد المضربه
من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
رفقا بمن تجع لم يدرك البلا ^{وفي} الفواد ظمآن قباقتلا
فجاني اللوم بالهيا والعذلا ^{واستعمل} الرغوى في ناسيه بركا
من عنقه فهو مضي القلب موجود
قولي لمن راعه منه قوله ^{عن} ملك اعظيم شوق محمله

القسم الاول

(١)

- (١) مخطوطة رقم ١٧١٦ ص ٢٣٠ وما بعدها
- (٢) المستنصرية - الاثار - بغداد
- (٣) ديوان الشيخ ابراهيم بن يحيى العاملي المتوفى سنة ١٢١٠ هـ
- (٤) نسخة غير مؤرخة (١) قريبة من زمن المؤلف

(١) راجع : المخطوطات العربية - في مكتبة المتحف العراقي -
(القسم الادبي) للاستاذ كوركيس عواد - ١٩٥٨ ص ٩٠

التعريف

بزرياب المغني البغدادي

- توفي في عام : ٢٣٠هـ - ٨٤٥م
- دخل الاندلس في عهد عبد الرحمن الثاني (الاوسط) في القرن الثالث الهجري
- كانت له اسرة في الاندلس اتصف أفرادها بالموسيقى والغناء
- تتلمذ على يد الموسيقي والمغني العراقي المشهور اسحق الموصلي
- عاصر من الخلفاء العباسيين المهدي - والرشيد * ومن الاندلسيين الامويين : عبد الرحمن الاوسط
- كان شاعرا بالاضافة الى فنه الموسيقي الغنائي *
- أدخل للاندرلس العادات البغدادية - والازياء العراقية - وبعض المأكولات الشرقية *
- تخرج على يديه وأحبه وقدر فنه طائفة من الشعراء والفنانين في الاندلس *

زُرَّابُ لُغْنِي البَغْدَادِي

حامل لواء الموسيقى والاغاني العربية في الاندلس

١٠٠٠-٢٢٣٠هـ

١٠٠٠-٨٤٥م (١)

هذه الآهات المتصاعدة من أعماق القلوب ، التي ترسم في الجو المطرب
دوائر من الالم والحسرة ، والبهجة والسرور ، عندما تشنف اذنيك ، وأنت
صاغيا الى الاغاني والموسيقى الاندلسية تنبعث من حنجرة مطربة ساحرة ،
ومن ثغر أقحواني بديع !!

هذه الاغاني وتلك الموسيقى اذا سمعتها لأول مرة انحدرت من عينيك
دمعات غوال ، لا تدري ما مصدر انبعاثها سوى ان عقلك الباطن قد دفعها الى
جفنيك ، ليدرك بحسرات القلوب المنكسرة التي ودعت وطنها الاندلس ،
يوم أن غادرته لا تلوي على شيء ، فبقيت في الكأس ثمالة من بقايا النفوس
الجريحة والارواح المتألمة الحزينة • يصدرها غناء أمثال (أنطونيو مولينا)
Antonio Molina الاشيلي ، (وكونشيتا بكير) Conchita Piquer
البلنسية •

ان هذه الموسيقى التي يرسلها الفنان الاسباني اليوم على قيثارته ،

(١) حقق هذه الوفاة - الاستاذ الزركلي (خير الدين) في الاعلام
ج ٥ ط ٢ ص ١٨٠ •

أتحسبها من الطابع الاوربي ؟ لا أظن !! بل هي الآلة التي حملها العرب
وحسنوها واستعملوها منذ عصورهم الزاهرة حتى عصرنا الحاضر •

والصنوج التي تدق بأكف الراقصات الاندلسيات أمثال Rosario
(روساريو) أتراها وليدة الحضارة الاوربية ؟ لا ، انها هي كذلك من الآت
الطرب عند العرب كالمزمار ، والعود ، والشبابة ، والكمان ، والدف ،
والقيثارة ، والقانون ، والطنبور ، والطارة ، والبوق ، والطبل ، والزمير ،
والمجوز ، والناي •

ان الغناء والموسيقى الاندلسية ، تولدت في اسبانية العربية عندما كانت
تترفرف طيور النعمة والهناء على سهول (قرطبة)^(١) وتلال (غرناطة)
ومنحدرات (اشيلية) وبتاتين (بلنسية) ومرافق (مالقة) • وكان القوم
يعيشون في الجنة الارضية التي وصفها شاعرهم بقولها :-

جدا أندلس من بلد لم تزل تنتج لي كل سرور
طائر شاد وظل وارف ومياه سائحات وقصور

ومن الطبيعي أن يلتذ القوم بالاطياب المبتوثة لديهم ، وينعموا بالنعيم
المقدم اليهم باطباق الذهب والفضة على موائد النعمة الوارفة الظلال • بأيدي
حسان نواعم ، بياضهن يتحدى أزاهير الزنبق المتفتح في اطلالة الربيع البكر!!
ونعومتهم تزري بالحرير الدمشقي الاصيل • ذوات شعور فاحمة طويلة ،
ملتفة كاشجار غابة عذراء • وعيون سود حاملة صافية معبرة أخذت سوادها
من معدن الاثمد الغرناطي • أهدابها كظل شجيرات الريحان والورد ، في

(١) لا تزال هذه الاسماء في اسبانيا محرفة قليلا عما وردت في

المصادر العربية :

Cordova : قرطبة

Sevilla : اشيلية

Granada : غرناطة

Malaga : مالقه

Valancia : بلنيسه

مرايح تلك البلاد في شهر نيسان ، وملابسهن كذيل الطاووس المختال في
حديقة من الزهور • وهذه الخمرة الجارية في كل اثناء ، المائلة كل قدح ،
المروية كل ظمأ ، أتراها لم تساعد على خلق ذلك الجو من الانس والطرب؟
انها بنت الكرمة المزروعة في سهول البلاد وروايبها ، لا يخلو منها منزل ، ولا
تفرغ منها خابية • جعلت الناس في شغل عن ارتشاف ماء الينابيع ، في مأكلهم
ومشاربهم ، وفي غدوهم وأصالهم ، يحملونها معهم في اسفارهم ، وحظهم
وترحالهم •

والطبيعة بأجمعها من هدبل الحمام ، ومن نغمت الشحارير ، ومن
خفقات الاوراق ومن تهدر ماء الينابيع ، ومن دوي الانهيار الطافية ، ومن
عطر البنفسج الفواح على مشارف البيوت ، وفي جنائن القصور ، أتراها لم
تخلق الجو الشعري ، وتبعث على خفة الارواح ، وسلامة القلوب ، وبسطة
النفس •

هذه المغريات الطبيعية المتنوعة ، دفعت بآباء جنوب اسبانيا خاصة في آن
يميلوا الى الراحة ، ويخلدوا الى الملذات ، ويرغبوا في المشارب التي لا تلهيهم
عنها شدة الالم ، أو تعاسة الظروف ، أو بعد المنازل •

× × ×

وأنت اذا استمعت (الاغاني الاندلسية) وموسيقاها اليوم ، كأنك تسمع
أغاني الضيعة في لبنان ، وأغاني الريف في العراق ، ومواليا مصر ، وعتابا
سورية • حتى لتحسب نفسك تسير في شوارع بغداد عند الامسيات تستمع
الى مغن بارع ، وفي سهرات زحلة في ظلال البردوني ، عندما تنتشر الموائد
وتتملىء الكؤوس ويشع النور !! أو في ظلال أشجار الغوطة الفيحاء بدمشق
في أصائل الاعياد ، وفي مقدم الربيع •

والذي يلفت نظرك ، هو ان هذا الغناء المصحوب بالرقص المعبر عن
خلجات القلوب ، يؤلف حلقات ، حلقات ، تديره راقصة ومغنية بارعة
يصاحبها أحيانا شاب ممتهن ، فتتسند (اللازمة) مع نقرات (الصنجات)

« الطقشات » - Castanuelos أو لهاث العزف والقيثار وعلى هذا النغم يهتز فيها كل عضو بحركة عصبية ، وبمظاهر نفسانية • معبرة عنها كل جارحة منها • وجوقتها تردد معها ما أشدته في المطلع ، والناس يصرخون بقولهم Olé, Olé, Olé • ولكن أتحسب هذا غريب عنك في ماضي تاريخ اخوانك العرب ، في هذه المربع السندسية ؟ • لا اخالك تجيب بالنفي ؟

فالغناء والموسيقى الاندلسيان ، هما مزيج شرقي وغربي ، كان الفضل يعود للشرق يوم أن حمل (زرياب) طرقة وفنونه الى اسبانيا العربية ، وهو تلميذ النابغة العباسي (اسحق الموصلي) نديم الملوك ، وباعث احساسات اللذة والطرب في نفوسهم •

ولكن من هو هذا البارع الفنان (زرياب) وكيف وصل الى هذه البلاد الساحقة البعد عن وطنه العراق ، مع طول المسافات ، ومشقة الطرق في زمنه وعصره !!؟؟

x x x

(زرياب)^(١) لقب له ، ومعناه الذهب الخالص أي التبر ، اسمه (علي بن نافع) من موالي المهدي ، ومن تلاميذ اسحق الموصلي^(١) •

ولد هذا النابغة من طبقات الشعب الدنيا وعاش في أحضان الفاقة ، وتربى تحت سقف البؤس ، ونام فوق بساط الحرمان ، وداعت عيناه أحلام الوسن • تناولت يدها اللقمة من حراح الكدح ، وتطعم من مرارة العيش • ومع كل هذه المعاكسات الزمنية تراه تحدى الزمان ، وصارع الفقر ، وتحارب مع الالم ، ووقف صامدا كالطود يغالب التيار ، ثم أعطاه النظام الذي عاش فيه العبودية والاعسار فأصبح تابعا للسلادة والاشراف يخدمهم في ظلمة الليالي

(١) في تفسير كلمة (زرياب) راجع هامش الاعلام ج ٥ ط ٢ ص ١٨٠ وهي كلمة أصلها (زرآب) فارسية (ماء الذهب) - وليس كما ذكر تشبيها له بطائر غرد اسود •

(١) يذكر صاحب (دائرة المعارف) البستاني • ان استاذ اسحق • ونفح الطيب يشير عن ابراهيم بن اسحق - والارجح هو الاول •

الطوال يؤانس نفوسهم ، ويهدد أجسامهم ، ويقدم لهم الشراب العذب ،
في كؤوسهم المملأى الى أفواههم الندبة • كل هذا وهو صابر محتسب بهج
النفس ، عذب اللفظ ، رقيق الشعور ، لذيد النغم ، ساحر الصوت ، أعطته
الطبيعة كنزا لا ينفذ من الذكاء ، وعمقلا لا يجارى من الفطنة - ونفسا لا تقارن
من السماحة والتضحية ! •

دراسته وسفره الى الاندلس

درس علوم الموسيقى الاولية على استاذة (اسحق الموصلي) فكان
يلتقط الحروف التقاطا ، فتثبت في نفسه وذاكرته ، كما تثبت الصور على
شاشة اللوحة الفوتوغرافية ، وامتدت به الايام وهو يتلقى دروسه دون كلل أو
ملل ، دون ضجر أو تدمر ، حتى قبضت أنامله الفتية على أوتار العود يداعب
نغماتها الرواقص ، فتتهز له الافئدة طربا ، وتتمايل نشوة وجورا •

فتولدت في نفس استاذة (اسحق) منه غيرة الانسان التي لا تتخلي
عنه ، وخاصة اذا كان مزاحمه في الصنعة ممن يفوقونه براعة ومهارة •

والغيرة نار لاهبة تحرق نيرانها غرسات المودة ويذبل لهبها زهرات
المحبة ، ويذهب لفحها بعطر الصداقة والقراية ، بل هي منجل يحصده
باسنانه الحادة قوائم ما أشادته الايام من أخلاص ، ويمزق صفحات ما ضمنه
الاخاء من تضامن •

ولكن غيرة (اسحق الموصلي) لم تظهر الا في يوم دعا الرشيد مغنيه
وموسيقيه لحفلة ساهرة كبرى تقام على شرف أحد الوفود • وكان من جملة
البطانة (زرياب) فسأل الخليفة هذا الناشئ الجديد عن فن الغناء ، وهو ممن
يتذوقونه ويلتذون به لكثرة ما لديه من الفنانين والمطربين ، والراقصات
والمغنيات ، فأجاب الخليفة زرياب عن فنه وابداعه بقوله :-

« أحسن منه ما يحسن الناس وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه ، مما لا

يحسن الا عندك ، ولا يدخر الا لك ، فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن
قبلك» (١) .

فأمر الرشيد باحضار عود استاذة اسحق فلم يأخذه زرياب وقال : لي
عود نحتة بيدي ، وأرهفته باحكامي ، لا أرتضي غيره . فأمر به الرشيد
وتأمله فوجده يشبه عود اسحق .

فقال : ما منعك أن تستعمل عود استاذك . فقال : ان كان مولاي يرغب
في غناء استاذي غنيتي بعوده ، وان كان يرغب في غنائي فلا بد لي من عودي .
وقد قربه (الرشيد) اليه وأحبه وفتح له بابا خاصا يستدعيه منه متى أراد
سماعه أو منادته (١) .

وبعد هذه الجلسة الاولى ، التي سحر بها الرشيد من فن زرياب
البديع ، خرج من مجلس الخليفة وهو يحمل آمالا بيضاء لمستقبل حياته ،
ولضمانة عيشه . الا ان لواذع الثيرة مشت عمياء سريعة ، صماء جامدة في
نفس اسحق . فاجتمع بتلميذه وهدده ، بأن يختار أحد أمرين اما أن يتوارى
عن وجهه ووجه الرشيد ، ويمضي بعيدا عن جو بغداد ، والا فان له من
السطوة ما يذهب بروح زرياب وما يملك ، واستحلفه بحق حقوق الرعاية
والتعليم أن لا يدخل الى الرشيد مرة أخرى ، لكي لا يهدم مجدا بناه ابراهيم!
ولا يطيح بمقدرات وبمكانة مغلن قضي عمره ، وعاش اباؤه في قصور الرشيد
وآل عباس المترفة !!

ففكر زرياب بالامر وقرر الهجرة التي تبعده عن جو الدسائس
والغايات ، فسارت راحلته تطوي القفار ، وتعبر الانهار ، وتحمل المشاق

(١) عن أخبار (زرياب) يستحسن مراجعة (الاغاني) ط دار الكتب
ج ٤/٣٥٤ ونفح الطيب ج ٢٢/٧٤٩ .
و (نظرات في تاريخ الادب الاندلسي) كامل كيلاني ط ١٩٢٤
ص ١١٢

و (الفكر الاندلسي) ترجمة الدكتور مؤنس ص ٥٢
و (تاريخ الادب الاندلسي) للدكتور عباس ص ٣٨
و (الشعر الاندلسي) للدكتور غومس ترجمة الدكتور مؤنس ص ٣٣
(١) يراجع : دائرة المعارف - للبيستاني - في مادة (زرياب) ط ١

والمناعب فمر بسورية ، وعرج على مصر ، ومنها الى المغرب و كاتب الخليفة الاموي بالاندلس يخبره بحاله وكان يومذاك أواخر حياة (الحكم بن هشام)^(١) ولكن الخليفة توفي قبل أن يدخل المغني البلاد • فاستقدم ابنه الخليفة (عبد الرحمن بن الحكم)^(١) •

ويشير (ابن خلدون) في تاريخه « ان عبد الرحمن ركب بنفسه لتلقيه ، وبالغ في اكرامه ، وأقام عنده بخير حال ، وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا ، فخلفه كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته • ومن بقايا زرياب بالاندلس وأعماله التي اخترعها^(٢) وخلد فيها :-

١ - زيادة الوتر الخامس على أوتار العود وجعله من اللون الاحمر ، وهو يقوم مقام النفس للجسد ، بعد أن كانت الاربع الاولى تمثل الطبائع البشرية •

٢ - استعمل مضرب العود من قوادم النسر بدلا من أعواد الخشب •

٣ - أدخل صنع الالحان على الطريقة العراقية - في الاندلس - بدلا من الطريقة الحجازية •

(٢) الحكم بن هشام - تولى الخلافة ١٨٠-٢٠٦ هـ ، ٧٩٦-٨٢٢ م هاجر في أواخر أيامه اثنان من مغني المشرق هما علون وزرقون - راجع (تاريخ الادب الاندلسي) للدكتور عباس ص ٣٨ كما دخلت الاندلس من المغنيات العراقيات (قمر) جارية ابن الحجاج الاشبيلي سنة ٢٨٨ هـ •

وراجع : أعلام النساء في باب القاف (قمر) - ج ٢ والبيان المغرب ج ٢ ص ١٩٤ •

(١) عبد الرحمن الثاني بن الحكم بن هشام الاموي ٢٠٦-٢٣٨ هـ ٨٢٢-٨٥٢ م هو الذي فتح أبواب الاندلس على مصاريعها للثقافة والفن الشرقي وخاصة (البغدادي) منه واستعاض (بالتقاليد البغدادية) عن (التقاليد الشامية) في الامور الاجتماعية بفضل زرياب •

راجع : أدب الاندلس وتاريخها - ليفر بردفنال ط ١٩٥١ مصر ص ٥-٧ •

(٢) يراجع : الفكر الاندلسي - لانجيل بلانسيه

Angel Gonzalez Palancia ترجمة (مؤنس) ص ٥٣ •

ومن عوائد أهل الأندلس التي سنّها (زرياب) لهم :-

١ - استعمال الحلوى المعروفة عندنا اليوم (الزلايية) المحرفة عن
(الزريابية) *

٢ - استعمال الادوات الزجاجية في الشراب عوضا عن أواني الذهب

٣ - استعماله غطاء السفرة على موائد الطعام *

٤ - استعماله الملابس البيض لفصل الصيف ، وجعله لكل فصل ما يلائمه

من اللباس *

٥ - صار قانون الغناء عندهم أن يبدأ المغني بالمشيد ، ويتوسط بالبسيط ،

ويتهيء بالمحركات والاهازيج ، وكانت طرق تعليمه الغناء مبنية على

مبادئ فلسفية طبيعية يسهل بها اقتباس التعليم وتلحين صوته ، وحركات

فمه ، ومع ذلك فكان يمتحن صوت التلميذ بطرق يعرفها لكي يرى

هل يوافق تعليمه أم لا ؟

٦ - أبدل أهل الأندلس رجلا ونساء فروق شعورهم التي كانوا يرسلونها

الى الجبين بحيث جعلوها الى ما وراء اذانهم مع تقصيرها ، دون

جباههم وتسويتها مع حواجبهم ، واسدالها الى أصدانهم^(١) *

ويختتم صاحب دائرة المعارف العلامة البستاني قوله :-

« وبالجملة فما آثره بالأندلس كثيرة ، وأخباره طويلة ، وشهرته وفضله

أشهر من أن تفصل وقد حظى عند ملوك الأندلس الامويين الحظوة التامة ،

وحصل الجاه العظيم ، والثروة الجليلة ، والسعادة السابغة ، وتزوج بنته أحد

وزرائهم^(٢) *

(١) يراجع : دائرة المعارف للبستاني ص ٢٢١-٢٢٣ ط ١ *

(٢) خصص لهم (عبد الرحمن الثاني) عطاء قدره مائتا دينار في

الشهر * وقرر له ثلاثة آلاف دينار في كل من العيدين مع ٢٠٠ مد من الشعير

و ٢٠٠ مد من القمح - وقصور وهبات وحدائق قيمتها أربعون الف دينار

راجع : الفكر الأندلسي ص ٥٣ *

وكان (زرياب) شاعرا مجيدا * يحفظ عشرة الاف مقطوعة من الاغاني

بالحانها * (هذا ما ذكره) المستشرق الاسباني بلانثيا في (الفكر الأندلسي)

ص ٥٤ *

وكان لاولاده المنزلة العليا في تلك الاقطار • وقد خلف ثمانية صبيان
وبنتين ، كلهم تعلموا الغناء ومهروا فيه •

× × ×

هذا هو (زرياب) حامل لواء الغناء والموسيقى العربية في الاندلس ترك
بلادها وهجرها اذ كما قال السيد المسيح : « لا كرامة لنبي في وطنه » •

وإذا قيضت لك الاوقات أن تزور اسبانيا الجميلة ، وغياض الاندلس
الساحرة فيها ، وعرجت على دور الفن والغناء ، أو استمعت الى الراديو وهو
يرسل انغامه ، أو شاهدت الافلام السينمائية الاسبانية الحديثة ، فسترى ما
يذكرك بهذا المطرب • وبفن الغناء والموسيقى العربيين • التي بذرها في
الشرق (آل الموصلية) ونمى غرسهما في الغرب ورعاهما (زرياب) • وكأنك
تعيش في جو بغداد^(١) • وسحر الشرق وبدائعه • حيث حلقات الجواري
الحسان بألوان ملابسهن الزاهية • تشبها بالطبيعة وما فيها من ألوان ، وحيث
الازجال والمواليا والعتابا ، وأبو الزلف ، والقصيد • تستقر في أعماق قلبك
مصورة لك أحلامك بلغتها الاسبانية العربية الرقيقة ، في جو من الليالي
الملاح ، مع أصحابك ذوي الاسمار اللطاف •

وحينذاك تعترف بأن اخوانك أبناء العروبة السالفين ، لم يقصروا في
هذه الميادين كما انهم لم يتأخروا عن بقية المجالات الاخرى التي تجعل
المنصفين من العلماء والباحثين يعترفون لهم بفنون الابتكار ، وبطرق التجديد
والابداع !!

ولو ان لهم من يوجههم ، وينظم أحوالهم ويكشف بذور الذكاء
والعبقرية فيهم ، لرأيتهم كيف يندفعون سراعا الى مراقبي الكمال ، والى
مواطن الخلق والتجديد •

(١) في مدينة برشلونة Barcelona باسبانيا دار للطرب الاندلسي

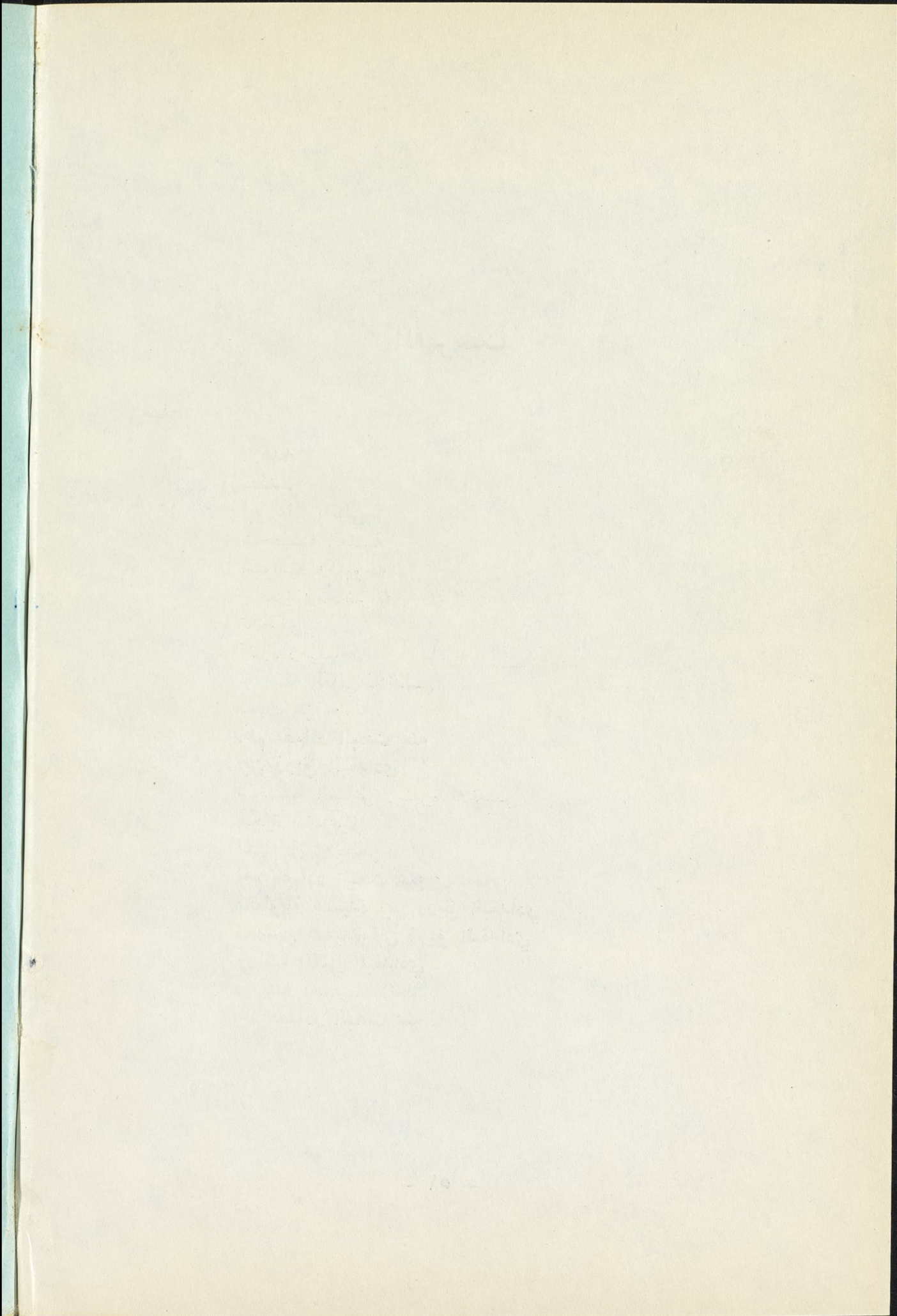
باسم (بغداد) Bagdad ، وأخرى (ليالي الاندلس) •

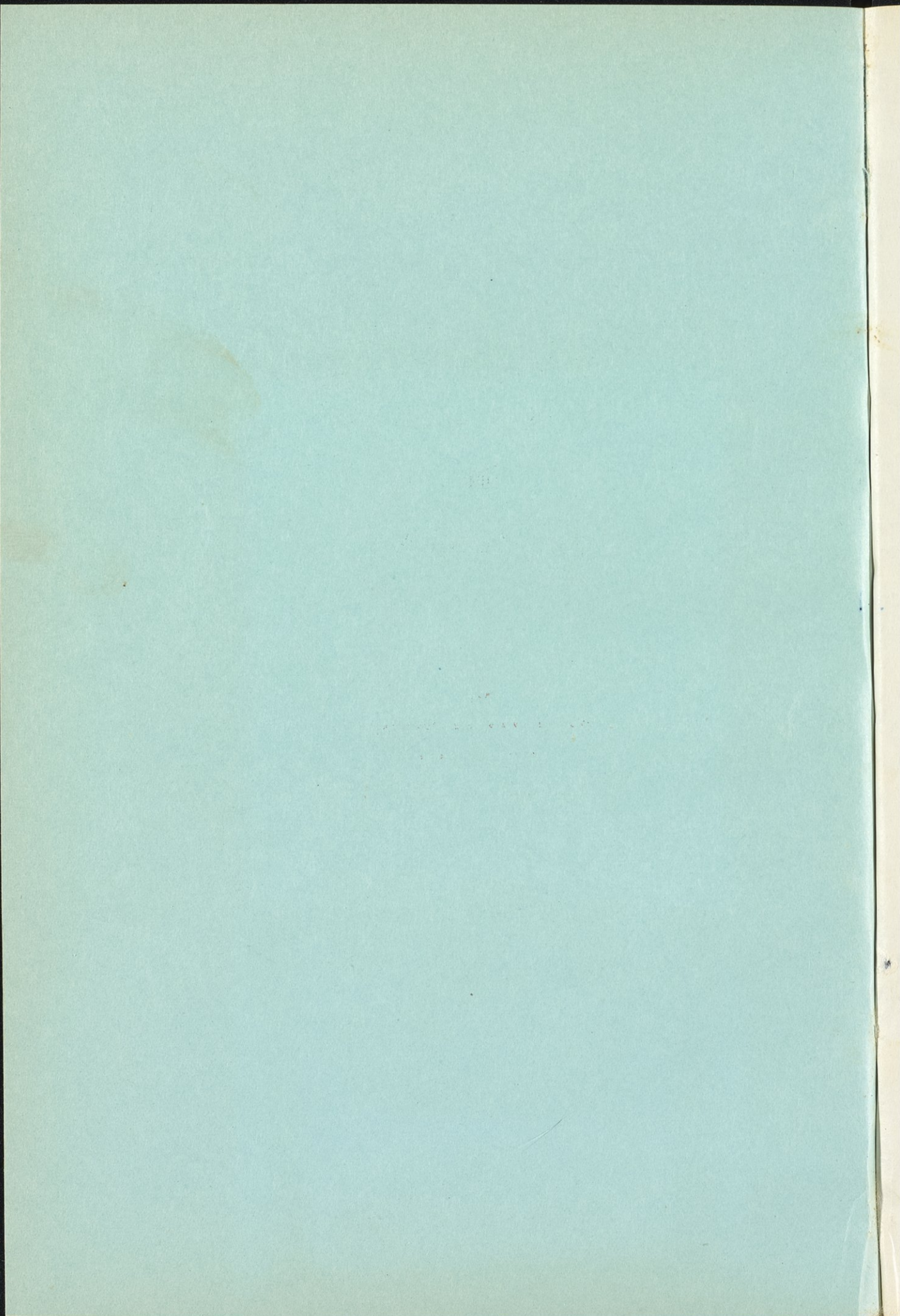
أهم مصادر البحث

- ١ - نفع الطيب ج ٢ ط ١ ١٩٤٩ نشر محمد محيي الدين عبد الحميد -
القاهرة .
- ٢ - الاعلام - للزركلي ط ٢/١٩٥٩ - ج ٥ .
- ٣ - دائرة المعارف - للبستاني ط ١ باب (زرياب) .
- ٤ - الفكر الاندلسي - لانجيل بلانثيا - ترجمة الدكتور مؤنس ١٩٥٥
مصر .
- ٥ - تاريخ الادب الاندلسي - (عصر سيادة قرطبة) - للدكتور احسان
عباس ط دار الثقافة - بيروت ١٩٦٠ .
- ٦ - محاضرات المستشرق (ليفي بروفنسال) - أدب الاندلس وتاريخها -
ترجمة محمد عبد الهادي شعيره - مصر ١٩٥١ .
- ٧ - نظرات في تاريخ الادب الاندلسي - (محاضرات) كامل كيلاني
ط ١ ١٩٢٤ مصر .
- ٨ - الشعر الاندلسي - للدكتور غرسيا غومز A. Garcia Gomez
ترجمة الدكتور مؤنس ط ٢ ١٩٥٦ مصر - القاهرة .
- ٩ - البيان المغرب - لابن عذاري المراكشي ج ٢ ط صادر بيروت ١٩٥٠ .

الفهرست

	صفحة
الاهداء	٥
تصدير	٧
أبو علي القالي	١٢
شخصيته العلمية	
أساتذته وشيوخه	
جامعته ومحاضراته	
تلامذته	
آثاره ومؤلفاته	
ما حمله القالي للاندلس	
لمحات من حياته	
أهم مصادر البحث عنه	٢٢
ابن زريق البغدادي	٢٤
شخصية الشاعر وسفاره للاندلس	
هجرة الشاعر	
فشله في الاندلس	
أهم مصادر البحث عنه	٣٥
مخطوطة قصيدة ابن زريق البغدادي	٣٦
تخميس قصيدة ابن زريق البغدادي	٣٩
زرياب المغني البغدادي	٤١
دراسته وسفاره للاندلس	
أهم مصادر البحث عنه	٥٠



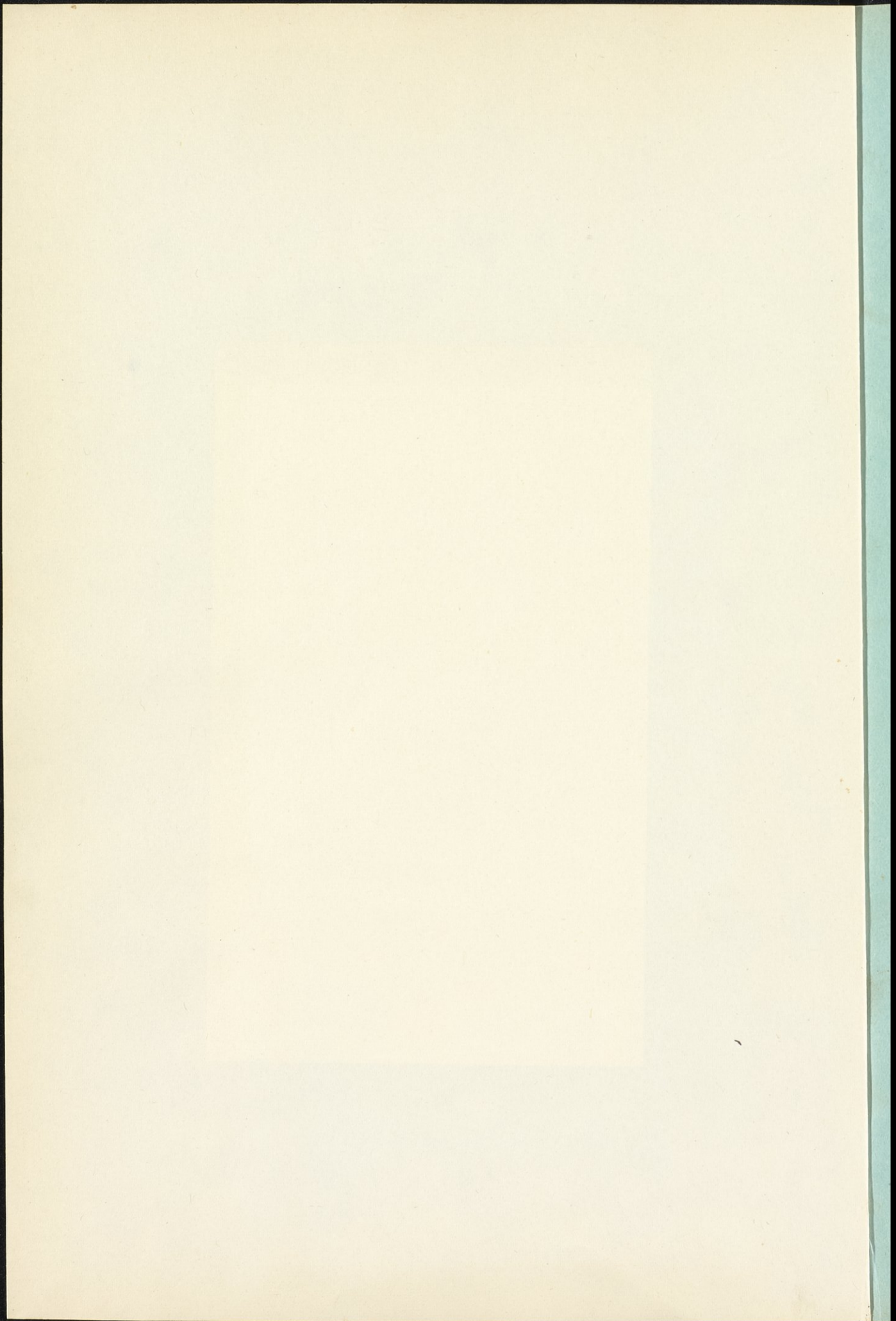


BAGHDADI
MEN - OF - LETTERS
IN
ANDALUSIA

By
Dr. M. JAMALUDDIN
Colleg of Arts
University of Baghdad

Al - Nahdah - Book - shop,

Baghdad
1962



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0043207006

PJ
7530
.J3

09158022

PJ 7530
.J3 C1

AUG 30 1968

